المحاضرة (5) نظريات المناهج الغربية- النظرية الجوهرية، النظرية البرغماتية

سنطرح خلال هذه المحاضرة تحليل وتفسير نماذج نظريات المناهج الرئيسية التي اقترح فكرتها "بريان هولمز B.Holmes في نشرة المكتب العالمي للتربية التي صدرت في باريس عام 1974م. وحددها في أربع نظريات:

النظرية الجوهرية أو الأساسية Essentialism

النظرية الموسوعية Encyclopaedism

النظرية العملية Pragmatism

النظرية التطبيقية Polytechnicalisaton

نستعرض في هذه المحاضرة نظريتين الجوهرية والبرغماتية لتبقى النظرية الموسوعية في المحاضرة القادمة.

نظرية المنهج : نظرية فرعية من النظرية التربوية، فإذا كانت النظرية التربوية هي المبادئ والأفكار التي تحكم العملية التربوية كلًّا، فنظرية المنهج هي ذلك الجزء من النظرية التربوية الذي يعنى بالمناهج.

ومن التعريفات الشهيرة لنظرية المنهج ما ذكره "بوشامب" بأنها مجموعة من العبارات المترابطة التي توضح مفهوم أو طبيعة المنهج التربوي، من خلال تحديد العلاقات التي تربط بين عناصره، وتوجه عمليات تطويره واستعمالاته وتقويمه.

وقد عرفها "قلادة" بأنها مجموعة من الأحداث المترابطة التي تعطي معنى لمنهج المدرسة عن طريق إبراز العلاقات بين عناصره، وتطويره، واستخدامه، وتقويمه.

وذكرت "تابا" أن نظرية المنهج هي طريقة لتنظيم التفكير حول قضايا هامة تخص تطوير المنهج، من حيث مكوناته وأهم عناصره وكيفية اختيارها وتنظيمها، وكيفية اتخاذ القرارات المنهجية.
(https://www.alukah.net)

أولا: النظرية الجوهرية

لقد ساهمت الفلسفة المثالية والفلسفة الواقعية الطبيعية والواقعية المدرسية والعقلية الإنسانية في تحديد موقف ونظرة أنصار هذه النظرية تجاه كل من طبيعة الفرد، وطبيعة المجتمع، وطبيعة المعرفة، والأخلاق والدين وتعتبر هذه الفلسفات بمثابة الأساس الذي تستند إليه النظرية الجوهرية أو كما تسمى الأساسية وتمثل هذه النظرية المحور الأول لمحاضرتنا من خلال توضيح مفهومها مع ما تضمنته حول مكونات المنهاج التربوي.

نظرية المنهج الجوهرية أو الأساسية تحتوي معظم المفهومات الفلسفية التقليدية، تركز هذه النظرية على مسلمة أساسية مؤداها أن إلمام الإنسان بتراثه الثقافي وما فيه من معارف وحقائق واقعية هو خير قائد له في تصرفاته المستقبلية، وأن المنهاج التربوي ينبغي أن يهدف إلى مساعدة الأطفال كي يكونوا كبارا أسوياء، وذلك عن طريق تحصيل الحكمة والمعرفة والمعلومات والمفهومات التي خلفتها الأجيال السابقة، وهي بذلك نظرية تراثية في المقام الأول وهي غير قابلة بشكل كبير للتطور.**(علي أحمد مدكور،1417هـ-1997م، ص297)**

ويرجع مصطلح جوهرية أو أساسية لأن أصحاب هذه النظرية يرون أنه بالرغم من التغيرات والتطورات الحاصلة في المجال التربوي إلا أن هناك أساسيات تربوية هي جوهر المعرفة، قد تكون صيغت ورتبت سلفا ويجب على الأطفال والشباب أن يتعلموها وأن تكون الأساس في مناهجهم التعليمية. **(علي أحمد مدكور،1417هـ-1997م، ص297)**

قام بتعريف هذه النظرية وليم باجلي1938 والذي يرى أن هناك جوانب أساسية معينة يجب الإبقاء عليها كما يجب أن يعرفها كل الناس إذا ما اعتبرناهم متعلمين، وتلك الجوانب الجوهرية يجب أن ننتقيها من المعرفة التاريخية والمعاصرة ونضمنها في المنهاج وفقا لتبرير فلسفي، وتعتبر النظرية الجوهرية نظرية محافظة لأنها ترمي إلى نقل المعتقدات من الجيل القديم إلى الجيل الحديث فالجيل الأحدث، ويؤكد أصحاب هذه النظرية إعادة وضع المادة الدراسية في مركز دائرة العملية التربوية ويجب استخدامها لا من أجل ذاتها بل من أجل جعلها وثيقة الصلة بالوضع الراهن للفرد كما يرى أصحاب هذه النظرية أن عمل المدرسة يتمثل في تزويد الطلبة بالقوى العقلية والفكرية وبناء على ذلك فإن أصحاب هذه النظرية يوجهون اهتمامهم إلى التمييز بين ما هو جوهري وما هو غير جوهري في المنهاج التربوي وإعادة فحص محتوى المناهج وإعادة سلطة المعلم داخل الحجرة الدراسية بحيث يكون ذلك المعلم في مركز العملية التعليمية بشرط أن يكون على قدر كاف من التثقيف والمعرفة العريضة في مجال التعليم والفهم العميق لسيكولوجية

التلاميذ وعملية التعلم والقدرة على نقل الحقائق إلى الجيل الأحدث ومعرفة الأصول التاريخية والفلسفية للتربية وأن يكون ذلك المعلم مهتما وجادا ومخلصا في أداء واجبه التعليمي. (https://www.uobabylon.edu)

إن هذا الطرح تأكيد على أن النظرية الجوهرية تركز على المادة العلمية وكذلك تكرس سلطة المعلم ما يجعلها تلتقي مع المنهاج التربوي بالمفهوم التقليدي الذي يجعل من المعلم محورا للعملية التعليمية التعلمية وتهتم بالمواد الدراسية.

وعموما فإن أي مجتمع يعتنق النظرية الجوهرية يعتبر المدرسة مؤسسة ذات وظيفة عملية تتمثل في نقل أساسيات المعارف والمهارات المختلفة إلى المتعلمين ويمكن إيجاز موقف النظرية الجوهرية بأربعة مبادئ أساسية هي:(https://www.uobabylon.edu)

1-إن التعلم يتضمن في ذاته العمل الشاق ذلك لان الاهتمام بموضوع معين يحتاج إلى جهد من أجل السيطرة على هذا الموضوع أو إتقانه، كما لا تراعي اهتمامات المتعلم.

2-إن دور المعلم يتوسط بين عالم الكبار وعالم الأطفال ومن ثم يجب أن تكون المبادأة في التربية بيد المعلم أكثر مما بيد التلميذ لأن المعلم قد تم إعداده بصورة متخصصة لمهمة إرشاد تلاميذه وتوجيههم ويكون المعلم مسيطرا على كل مكونات الموقف التعليمي ويكون المتعلم تابعا له.

3-إن جوهر العملية التربوية يتمثل في استيعاب المادة الدراسية المحددة من قبل كما ينبغي على التربية إتاحة الفرصة للفرد لتحقيق إمكاناته الكامنة فيه ويجب أن يتم تقديم المعرفة في المادة الدراسية وفقا للتنظيم المنطقي لها كما يجب التركيز على أهمية التراث الاجتماعي ووضعه فوق الخبرة الفردية وذلك من منطلق أن هذا التراث يلخص خبرات الملايين في محاولتهم التوافق مع بيئتهم.

4-يجب على المدرسة المحافظة على الطرق التقليدية للانضباط العقلي كما يجب تعليم التلميذ المفاهيم الأساسية حتى وإن كان لابد من تطويعها وفقا للمستوى السيكولوجي والفكري للمتعلم.

تعطي النظرية الجوهرية الأهمية للمادة الدراسية وأن المواد الدراسية تتمركز حول: الفنون الحرة، والعلوم الإنسانية، بالاضافة إلى علوم الدين والأخلاق التي ينبغي أن يكون لها مكان مهم في صلب المنهاج. وتتمثل طريقة التدريس وفقا لهذه النظرية الالتزام بالنظام الشكلي في التدريس الذي يتطلب بالإضافة إلى القدوة إعطاء المحاضرات والقراءات من الكتب والحفظ والتسميع والامتحانات، وبخوص التقويم فهو عملية ختامية وليست بنائية الهدف منها الوقوف على مدى التقدم في الدراسة أو التنبؤ بالنجاح وليست للتشخيص والعلاج، وطبقا لهذا فالأنماط التقليدية للامتحانات كاختبارات المقال

والاختبارات الشفوية هي أكثر الأشكال شيوعا لتقدير مدى التقدم في استيعاب المواد الأساسية وتشمل وسائل التقويم أيضا أنماط الاختبارات العملية التي تقيس مدى التقدم في المواد العلمية والفنية.**(علي أحمد مدكور،1417هـ-1997م،ص ص323،315)**

إن النظرة التحليلية للمبادئ التي تقوم عليها النظرية الجوهرية تأكيد على المعلم وليس المتعلم بالتالي لا توافق المفهوم الحديث للمنهاج التربوي إنها تلتقي مع المفهوم التقليدي كما وتركز على المواد الدراسية بشكل كبير وتعتبرها مركز اهتمام وعلى ضرورة التنظيم المنطقي لها، إنها توافق الطرق الكلاسيكية.

ثانيا: النظرية البراغماتية (النفعية):

لقد كان الفيلسوف الأمريكي "شارل بيرس" أول من قدم كلمة برغماتية في الفلسفة الحديثة عام 1878، كما أن الفضل يرجع للفيلسوف الأمريكي "ووليام جيمس" في التعريف بها والدعوة لها. وبعد ذلك ارتبطت بـ "جون ديوي"، وقد اعتبرت وسيلة لحسم النزاعات الميتافيزيقية التي لا تنتهي، المادة أم الروح؟ عالم واحد أم عوالم عدة..الخ **(إبراهيم الخطيب وآخران،1430هـ-2010م، ص78)**

كما تسمى الفلسفة التجريبية وتقوم أساسا على فكرة التغير، العمليات، النسبية وأن المعرفة مجموعة من العمليات تتغير من خلالها الحقيقة دوما ولا ثبات لها، ولا يحدث التعلم إلا أن ينخرط الفرد في موقف جدي يمارس فيه حل المشكلات، وهو أمر يمكن نقله ونقل آثاره من موقف إلى آخر وفقا لما يقال له انتقال أثر التدريب أو أثر التعلم إلى مواقف أخرى غير الموقف الأول أكثر اتساعا وغنى وثراء وفي مختلف المواد الدراسية، والتعرف البراغماتي هو مجموعة من الإجراءات تقع وسطا بين المتعلم والبيئة. **(حسن عبد الباري عصر: 2006، ص101)**

وكلمة برغماتية مشتقة من كلمة يونانية هي: Pragma معناها الفعل أو العمل والممارسة وقد استندت هذه الفلسفة إلى فكرة رئيسية تتمثل في أن قيمة المعرفة أو الحقيقة رهن بالعمل النافع الذي تقود إليه، ما جعلها تتجه إلى النظر إلى النتائج العملية الفعلية للعمل، ليصبح السؤال الرئيسي الذي يطرحه الفرد ماذا سأجني من هذا العمل؟ ووفقا لهذه الفلسفة فالتفكير الصائب في الأمور يستلزم تقدير النتائج العملية المرتقبة. **(إبراهيم الخطيب وآخران،1430هـ-2010م، ص78)**

وفي إطار هذه الفلسفة فالتربية هي الحياة وليست إعدادا للحياة وان من واجب المدرسة كمؤسسة تربوية أن تستخدم مواقف الحياة في العملية التربوية، مع الإيمان بمبدأ التعلم عن طريق العمل وعن طريق توزيع طرق وأساليب التعليم، **(إبراهيم الخطيب وآخران،1430هـ-2010م، ص ص78-79)**وقد ركز العالم "جون ديوي" على مبدأ النشاط الذاتي وضرورة الاعتماد على الخبرة في مؤلفه "الخبرة والتربية"

1938، الذي أكد فيه على الخبرة كنتيجة تفاعل الفرد المتعلم مع بيئته وجعل الخبرة المحور الأساسي لبناء المنهاج، وبذلك وضع اللبنة الأولى في بناء المنهاج الحديث الذي يختلف عن المقررات الدراسية في ربط الدراسة النظرية بالتطبيق وربط المدرسة بالمجتمع والحياة التي يعيشها المتعلم **(زكريا إسماعيل أبو الضبعات: 1428هـ-2007م، ص53)**

ومن أبرز أفكار الفلسفة البراغماتية فيما يتعلق بالمنهاج ما يلي: **(سهيلة محسن كاظم الفتلاوي: 2006، ص131)**

أ- مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين عند تخطيط المناهج وتصميمها.

ب-الغاية من تعليم المنهاج إنهاء المتعلم في جميع جوانب الشخصية بما يحقق القدرة في التكيف مع البيئة الطبيعية والاجتماعية والتمكن من المشاركة في الوعي الاجتماعي للجنس البشري.

ج- تأكيد المنهاج على انتقاء الخبرات المعاصرة التي ترتبط بالحياة.

د- تنظيم خبرات المنهاج وفق الأساس السيكولوجي الذي يراعي ميول واهتمامات واحتياجات المتعلمين.

هـ-تركيز المنهاج على المشاريع والمشكلات الفردية والاجتماعية لإعداد المتعلمين على مواجهة الواقع الاجتماعي المتغير من خلال تنمية قدراتهم على التفكير الناقد والابتكاري وحل المشكلات.

و- تأكيد المنهاج الدراسي على تنمية الروح الجماعية والتعاونية بإدخال أساليب التعلم التعاوني لدعم التواصل الاجتماعي بين المتعلمين في المجتمع المدرسي وخارجه إلى واقع المجتمع في الحياة.

ز- إشراك المتعلمين والمعلمين وأولياء الأمور وكل من له صلة بالعملية التعليمية في تخطيط المنهاج الدراسي وتطويره وتحسينه.